شیخ من مشائخ الهند

المفتی الاعظم مصطفیٰ رضا خاں



قلم

فضیلۃ الشیخ علامہ محمد اسحاق الرضوی الرامفوری

صححہ وراجعہ

علامہ محمد نعمان الاعظمی الازہری

المفتي الأعظم، شيخ من مشايخ الهند

مصطفى رضا خان

ابن الإمام أحمد رضا البريلوى (رحمهما الله تعالىٰ)

بقلم

محمد إسحاق الرضوي الرامفوري

صححه و راجعه

نعمان الأعظمي الأزهري

﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللّٰهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُوْنَ ﴾

[سورة يونس ، آية: ٦٢]

كلمة الناشر

نحمده و نصلى و نسلم على حبيبه المصطفى عليه التحية و الثناء .

أما بعد، فيسعدنى أن أكتب شيئا على هذه المقالة التى قدمها الشيخ محمد إسحاق الرضوى والتى تتحدث عن شخصية بارزة فى الهند ألا و هو سيدى و مولاى الشيخ الكبير المفتى الأعظم بالهند مصطفى رضا خان النورى رحمه الله .

هذه الشخصية كانت تحتاج إلى تعريفها بالعرب منذ قديم و لكن لم يتوجه إليه أحد ، أما فى الأخير قام أحد الماهرين فى العربية و أديب الوقت الشيخ محمد إسحاق الرامفورى بهذه المسئولية ، فله الشكر و الجزاء.

و بما أن مركز أهل السنة بركات رضا (فوربندر) قد يعمل فيه أحد من علماء الأزهر الشريف بالقاهرة فرأيت من المناسب أن أريه قبل الطبع ، فلله الشكر أن قد صحح الشيخ نعمان الأعظمى الأزهرى الأخطاء الفنية و المطبعية التى كانت بقيت فى هذه المقالة الصغيرة و قد راجع حرفا حرفا فاطمئن قلبى .

و على كل حال، هذا سعى جميل أن تكتب الآن المقالات

على مثل هذه الشخصية.

و من الحقيقة أن هذه هي الأسرة التي لها خدمات عظيمة للإسلام و المسلمين في الهند. و فيها ولد الشيخ الإمام المحدث المجدد الفقيه المفتي أحمد رضا القادري الحنفي ــ رحمه الله تعالىٰ ــ و له ولد بار سار على طريق أبيه في الإخلاص و العمل هو الشيخ مصطفى رضا خان النوري الموصوف في هذه المقالة، و لي شرف عظيم بأنني بايعت على يديه فهو شيخي و مولاي. (نفعنا الله تعالىٰ ببركاته)

و قبل أن أختم كلمتي أريد أن أشكر لابني البار أرشد على الجيلاني سلمه الله تعالىٰ بأنه ضبطه من جديد في أحسن صورة.

و صلى الله على سيدنا و مولانا محمد و آله و أصحابه أجمعين أبدا.

المخلص

عبد الستار الهمداني "مصروف"

مدير مركز أهل السنة بركات رضا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد، فاعلم يا أخى المسلم!

إنّ الهند بلاد واسعة دخلها المسلمون قبل قرون وانتشروا فى أطرافها . وحملوا إليها علوماً وثقافةً ثم جعلوا من سهولها ووُديانها (١) ،مواطن لهم ومساكن وبارك الله فيهم فجعل منهم علماء صالحين وأولياء مرشدين ، وحكماء مصنّفين ، لهم آثار ظاهرة فى التاريخ ،ونريد أن نتحدث عن عالم صالح، وليّ كامل ، جعله الله فى الهند فنفع أهلها وأنار الطريق وبلّغ الدين وأسلم على يده مشركون وتاب على يده فاسقون وطهّر المجتمع الإسلاميّ الهنديّ من البدعات. وصمد فى وجه الفتن صمود الجبال.

وهو الشيخ مصطفى رضا خان الفقيه المحدث الدّاعية (٢) البريلوى ابن الشيخ المجدد المحدث الفقيه المتكلم الإمام أحمد رضا خان البريلوى.

آباء شيخنا

فى أفغانستان قبيلة أثيلة المجد ، اسمها "برهيج" هاجر

أحد من أبناء ها إلى حضرة الملك المغول الإمبراطور ، شاه جهان(٢) وكان اسم هذا المهاجر سعد الله خان وكان الرجل فتى ذا مروءة وسيادة فرحّب به الملك وجعله وزيرا من وزراءه وقائدا من قوّاد جنده فعاش هذا القائد الشجاع حياة مجاهد وكان مع ذلك عالماً مولعا بفنون العلم وفنون الحرب وكان من أحد أبناءه سعادت يار خان فلمّا ترعرع هذا تعلم من أقسام العلم وحذق فنون الحرب من الركوب والرماية والضرب والطعن فأرسلت الدولة المغولية إلى – روهيل كهند – فى الجانب الشمالى من الهند فدوّخ الإقليم فلمّا أن جاء البشير إلى عاصمة البلاد بالفتح ، أصدر السلطان أمرا يقول فيه: إنّ سعادت يار خان حاكمُ تلك المقاطعة فأقام هذا القائد بـ بريلى - وولد له ابن منهم محمد أعظم خان وسار هذا الكريم سيرة آباءه من تعلم الفروسية والرماية لكنه أكثر من علوم الدين فكان قد جمع الوزارتين وحاز السعادتين ثم أعرض ونأى من نظام الدولة واشتغل فى العبادة وتصفية القلب وكان من أبناءه كاظم على خان.
وكان هذا الرجل قائداً شجاعاً عالماً إدارياً حاكم المنطقة من الدولة المغولية ومن أبناءه الشيخ رضا على خان كان هذا الشيخ عالماً ، ووليّاً من أولياء الله ، بسيرته وخدماته ولم يقبل وظيفة من الدولة

إنما عبد ربّه وخدم العلم ونصح المسلمين وكانت له من الله كرامات وكان من بين أبناء ه الشيخ نقى على خان ، وكان هذا عالما حجّةً فى العلوم ثقةً فى الفقه والتفسير صفىَّ القلب نقى الطبع ، درس وألّف كتباً مفيدة احتاج إليها المجتمع الإسلامى الهندى، فى ذلك العصر فكان بركة وخيراً على مسلمى الهند وولد له أبناء كرام منهم الشيخ الإمام أحمد رضا خان المحدث البريلوى وهذا هو من شيوخ المسلمين الكبار ، جدّد لهذه الأمة أمرها ودحض البدعات ، وأخمد الفتن ، وانفجرت من قلمه عيون معينة بالعلوم فكان له أكثر من ألف مصنّف ،وتتلمذ عليه من أقاصى البلاد و آدانيها ومدحه العلماء ، حتى علماء بلاد العرب ووثقوا بأبحاثه (٤)

فهذه الأسرة كانت ذات علم ودين وعاش هؤلاء الكرام فى عصور متتالية من عهده ١٠٠٠ه إلى ١٣٤٠ه، فقد توفى الإمام أحمد رضا فى ٢٤ من صفر سنة ١٣٤٠ ه

فلهؤلاء القواد والعلماء والشيوخ تاريخ يفتخر به أهل الإسلام ومن أبناء الشيخ الإمام أحمد رضا خان ، هذا الشيخ الذى نريد أنْ نترجم لك عنه.

وشهدت الهند فى هذه الفترة تقلبات فى السياسة وتحوّلات

فى النزعات الدينية ، ولكن هذه الأسرة الكريمة ، ما زال أبناء ها من ذلك العهد إلى اليوم ، متمسكين بكتاب الله تعالى، متبعين لسنة الرسول عليه الصلاة والسلام، قائمين راشدين على طريقة أهل السنة والجماعة قدوتهم فى ذلك الخلفاء الراشدون والإمام الأعظم أبو حنيفة ، والإمام الغزالى ، والشيخ المحدث عبد الحق الدهلوى وغيرهم من أساطين أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى.

والهند قبل ولادة الإمام أحمد رضا ، تغلب عليها الإنجليز. وانهارت دولة المسلمين الشامخة ، لأسباب تعود إلى أخلاد أهل الدولة على ملاذ الدنيا وشهواتها.

واختل أمر المسلمين ، وفى هذه الأوضاع المعقدة، قامت أسرة الإمام أحمد رضا ، أباً وابناً .بخدمات عظيمة جدير بها أنْ تكتب بأحرف من نور .

ويسرّنا أنْ نقدم إلى إخواننا العرب ترجمة مختصرة تكشف لهم عن خدمات عضو من أعضاء هذه الأسرة الكريمة ، وهو ابن الإمام أحمد رضا الأصغر ، الشيخ المفتى الأعظم مصطفى رضا خان، الفقيه البريلوى.

حديث الصّبا

ولد للإمام أحمد رضا رحمه الله تعالى . عند مطلع الفجر من ٢٢ من ذى الحجة لعام ١٣١٠ هـ . الموافق ٧ من يوليو ١٨٩٣م فى بلدة بريلى ، هذا الابن الكريم النجيب.

وكان أبوه الإمام أحمد رضا مسترشداً ، فى السلوك والمعرفة من الشيخ أبى الحسن النورى (٥) وكان يحضر إليه كثيراً فحضره يوماً فتذاكر الإمام أحمد رضا وشيخه العلم الليلة، ثم ناما فرأى أنّ ولداً وُلد فى بيت الإمام أحمد رضا فلمّا أصبحا تلاقيا فسلم الإمام أحمد رضا إلى شيخه تحية الصباح وسبق الشيخ ، الإمام أحمد رضا ببشره بولده الذى وُلد له ثم قال الشيخ : للإمام أحمد رضا ، أفلا أجعله من الذين يسترشدون منّى، فقال الإمام أحمد رضا: هو لك فاجعله كذلك ثم أمر الشيخ الإمام أحمد رضا أنْ يحضر إلى بيته فيزور ولده، وأعطى الشيخ عمامته وجبّته وقال: للإمام أحمد رضا ، احمل هذه الأمانة منّى إلى ولدك هذا وأبلغه إيّاها إذا تأهّل لها سنّاً ثم مضت شهور ستة فحضر الشيخ أبو الحسن ، السيد الهاشمى إلى بيت الإمام أحمد رضا ، بـ بريلى. وضمّ ولده إلى صدره وقبّل جبينه وقال :

إنّ هذا الولد ، فطره الله تعالى على ولائه وحبه فهو أبو البركات لبركاته وغريق فى حب الله كما كان شيخنا عبد القادر، الجيلانى رضى الله تعالى فسمّوا هذا الولد محى الدين طلباً للبركة باسم الشيخ الجيلانى .

فكان اسم شيخنا أبو البركات ، محى الدين، مصطفى رضا خان وقد استعمل الشيخ فى شعره اسم "نورى" .

وأيضاً ، قال الشيخ أبو الحسن النورى:

إنّ هذا الطفل ، ليخدم الدين خدمات جليلة ويفيض إلى الخلق نفعه . هذا الطفل ولىّ من أولياء الله سيهدى سعيه فى الإرشاد عددا هائلاً من الضالّين إلى الحق (٦)

ثم صدق الله تعالى قول الشيخ أبى الحسن النورى فكان كما أخبر. ثم نشأ وترعرع هذا الولد بتربية من أبويه تُعنى بكرم الخلق ونظافة الطباع وحسن السيرة . فنمى كريم الطبع لطيف المزاج عفيف الذيل، معتدل السلوك قويم العادات زكى الفؤاد، على رجاحة العقل ، وسجاحة الخلق، وعرفه المجتمع طفلاً طاهراً نقياً يحبه من رآه ويمدحه من تكلمه.

وأمر أبوه الإمام أحمد رضا ،ابنه الأكبر، الإمام الحجة

حـامـد رضـا خـان ، بتـعـليمه فعلّمه هو وعلماء آخرون ، حتى تخرج عـالـمـاً فـاضلاً مـفتيـاً، مـفسراً محدثاً حكيماً أديباً خطيباً، وهو ابن ثمانية عشرة، فهؤلاء أساتذته ، وهم أساطين العلم والأدب آنذاك.

(١) الشيخ حجة الإسلام العلامة محمد حامد رضا البريلوى . ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م

(٢) أستاذ الأساتذة العلامة الشيخ رَحَمُ إلٰهى المنكلورىّ ١٣٦١م

(٣) شيخ العلماء العلامة السيد بشير أحمد العليكرهى.

(٤) شـمـس الـعـلـمـاء الـعلامة ظهور الحسن الفاروقى الرامفورى ١٣٤٢هـ.

العلوم التى برع فيها

تـعـلّم الشيخ بجدّ متواصل واجتهاد كامل لم يفتر عن المطالعة ولـم يـقـصـر فـى الـتـحـصيل ، وكان فطنا قلبه زكياً طبعه ، فكان يقرء الـكـتـاب ثـم يـعـود إليـه لـفظاً لفظاً عن ظهر قلبه، لتوقد ذهنه وسرعة حـفـظه وسلامة قوته فى النظر والفكر فلطالما وجده أساتذته يعيد ما قرأ والكتاب مطوى .فأجاد علم التفسير والحديث ، بفنونهما وبرع فى الـفـقـه وأصـول الـفقه ، وتبحّر فى الكلام والمنطق والفلسفة بفروعها وحذق العربية بأقسام آدابها ومهر بعلوم الرياضة بأصنافها.

لكنه انقطع إلى كتاب الله وسنة رسول الله والفقه وتدريس العلوم المفيدة للمسلمين وأمعن فى مطالعة التاريخ والبحث عن المشكلات التى استصعبها المسلمون وأنعم فكره فى تحقيق وجوه وطرق يقدر بها المسلمون على الخروج من الحضيض إلى الأوج ومن التأخر إلى التقدم ، فدرّس العلوم وكتب للمسلمين وقدّم لهم حلولا لأزماتهم.

خدماته فى تدريس العلوم

قد عرفتم أنّ هذا الشيخ كان أصغر أبناء الإمام أحمد رضا وكان أبوه وجدّه ، لهما كليّة للعلوم تكفلت لتدريس العلوم . فاشتغل الشيخ فى هذه الكلية للتدريس . وعلّم هناك طوال خمسين عاماً كاملاً ، فعاد مقصدا للطلاب ومرجعا ثقة للعلماء المتخصصين وتواترت إليه القوافل والمطايا وذاع صيته واستهل من منهله جموع حاشدة وطوائف مختلفة فلم يبق فى البلاد مدرسة إلاّ وله فيها تلميذ استفاد منه ولا جامعة إلاّ وفيها أستاذ انتفع من علمه .

ثم كثر حضور السائلين فى العلم ، والمستفسرين والمسترشدين فاقتصر على تدريس السنة والتفسير وعلوم الفتوى. ولربّما كان يسافر إليه العالم من بلاد العرب ويعرض عليه

مشكلته العلمية فلا يخيب عند الشيخ بل يجد ضالّته فى رحاب علمه الوسيع.

وقال: الذين تتلمذوا عليه إنّ الشيخ رحمه الله تعالى كانت له ملكة تامّة على الفنون وقوّة راسخة فى طرق التفهيم وقدم ثابتة فى كل علم فإذا علّم مسئلة من علم فصّلها من كل جانب واستدلّ عليها فإن كانت تلك من الفقه برهن عليها أولا من كتاب الله تعالى ثم من سنة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ثم نظمها فى أصول الفقه . وعرض إليه أقوال الفقهاء ثم رجّح بعضها وأوضح حكمها، وهكذا شأنه فى كل مسئلة فقهية عرضت عليه وإن كانت تلك من التفسير قرأ الآية واستوفى قراءاتها ووجوهها وذكر صرفها ونحوها وأتى بعجائب بلاغتها ولطائف عربيتها ثمّ فصّل أقوال المفسرين فيها.

وكان من شأنه أنه إذا عرضت عليه مسئلة من علم ، أجاب فيها ، كأنّ جميع ما كتب عنها فى غابر الأزمان حاضر أمام عينيه.

وعدد الذين تتلمذوا عليه واستفادوا منه فى مختلف العلوم وخصوصاً ، الذين استفادوا منه فى علم الفتوى كثير، لا نطيل الكلام بسرد أسمائهم.

مصنفاته

كان الشيخ يقوم بأعمال ثقيلة عظيمة كثيرة يدرس العلوم ويشير الإخصائيين ، ويرشد المسلمين ، وينتقد الآراء المضلّة للمسلمين ولكنه ، مع كثرة الأشغال قد صنّف مصنّفات احتاج إليها المجتمع الإسلامى ، فهى إمّا لتفصيل مسئلة فقهية أو لانتقاد رأى مضل أو لهداية المسلمين، فى مشكلة عرضت لهم فى السياسة أو الدين ، وله مجموعة للفتاوى طبعت منها مجلدات .

من مصنفاته

(١) الكاوى فى العاوى الغاوى. ١٣٣٠هج
(٢) الغثم القاصم للراسم القاسم. ١٣٣٠هج
(٣) أشد البأس على عابد الخناس. ١٣٢٨هج
(٤) نور الفرقان.
(٥) وقعات السنان. ١٣٣٠ هج
(٦) الرمح الديانى. ١٣٣٠ هج
(٧) وقاية أهل السنة. ١٣٣٢ هج
(٨) إلهى ضرب به أهل حرب.
(٩) إدخال السنان.
(١٠) صيلم الديان.

(١١) سيف القهار.

(١٢) نفى العار.

(١٣) النكة.

(١٤) مقتل كذب وكيد.

(١٥) مقتل أكذب وأجهل.

(١٦) الموت الأحمر.

(١٧) الملفوظات.

(١٨) الطارى الدارى.

(١٩) القول العجيب.

(٢٠) طرق الهدى والإرشاد إلى أحكام الإمارة والجهاد.

(٢١) حجة باهرة بوجوب الحجة الحاضرة.

(٢٢) القسورة على إدّوار الحمر الكفرة.

(٢٣) ديوان شعر بالأردية.

(٢٤) مجموع الفتاوى، باسم الفتاوى المصطفوية.

(٢٥) طرد الشيطان.

إلى ذالك مصنفات أخرى مفيدة تزيد على مائة .

أسلوب بيانه

كان الشيخ عارفاً بلغات عديدة ، الفارسية ، العربية ،

الهندية، قادراً على الكتابة فيها، وأكثر مصنفاته فى الأردية وبعضها باللغة العربية الفصحى.

كان يكتب باللغة العربية ، فكان بيانه سهلاً ممتعاً لا يتكلف للبدائع اللفظية والمعنوية إلا ما جاء منه عفواً، بيانه يجرى مع الطبع لا يثقل على القارئ واضح الدلالة موجز اللفظ جزل المعنى فخم العبارة منظوماً فيه الأمثال والحكم من الآيات والأشعار ، متدفقاً بالحيوة والعاطفة ، إليك نموذجاً منه من كتابه "طرد الشيطان"

"فلا تأمن من مكر الله ، يا مغرور، يا كفور

إنّه لا يأمن منه إلّا القوم الكافرون

لا تغترّ بهذا الاستدراج والإمهال

لا تحسبها خيرا لك لا فى الحال ولا فى المآل ، قال الشاعر:

أيغرّك ما يفنىٰ وتفرح بالمنىٰ   كما غرّ فى اللذات فى النوم حالم

وشغلك فيها سوف تكره غيّه   كذالك فى الدنيا تعيش البهائم

أما سمعت من القرآن الحكيم .سنستدرجهم من حيث لا يعلمون"   (طرد الشيطان ص ٤٨ غير مطبوع)

وكذالك كان نثره ، بالهندية نثراً ممتعا قويّاً مليئاً بالحكم والأمثال ، له نفوذ إلى القلب وتأثير فى الحواس من قرأه وهو

شهيد، استيقظ من الغفلة وهذا شأن من واطأ ظاهره باطنه وجمع إلى جمال اللفظ صدق القلب وخلوص العاطفة.

شعره

وكان الشيخ شاعراً مطبوعاً مارس الشعر بالأردية وقليلا بالعربية . وشعره العربي لم يدوّن بعدُ أما شعره الأردى فطبع مراراً، باسم ﴿سامان بخشش﴾ متاع الغفران . وأكثر أشعاره فى مدح الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، وبعضه فى مناقب الصحابة والأولياء وذكر فى بعضه أحوال الأمة الإسلامية ، وما طرء عليها من رثاثة الحال والتأخر والتفرق والتشتت، وربّما ذكر فى شعره مسائل من العلم فى الرّد على الفلاسفة الضالّين والمبتدعة، ووعظ بشعره المسلمين ودعاهم إلى الأخذ بالسنة وحبّ الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم واتّباعه صلى الله تعالى عليه وسلم فكان هو فى شعره داعية إسلامى ، وباحث عظيم بعث فى الأمة المسلمة روح الجهاد بالأعمال وصحوة التفكر والتدبر وهذه آثار دعوته نلمسها فى ما بعده من هذا العصر، أمّا شعره فى مدح النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فهو أقوى شعره أودعه لوعته واشتياقه إلى المدينة المنورة وحنينه إلى تلك الأرض المقدسة التى ضمّت حبيبه صلى الله تعالى عليه

وسلم وذكر فيه جوى فراقه وشجى هجره ولوعة نأيه ، فى كلمات هى أعذب صياغة وأشد تأثيراً وأسهل بياناً.

حياته الدعوية والسياسية

حين بلغ الشيخ أشدّه ، وجد فيما حوله من البلاد فتناً كثيرة. اشتعلت فى الهند حركات التحرر من الإنجليز وتداعت الأمم الكافرة على الدولة العثمانية ونشط الهندوس بأعمال هدفت إلى ردّ المسلمين إلى الوثنية .

فقاد المسلمين هذا الشيخ قيادة حكمية وخط لهم فى كل ما احتاجوا إليه من الإسلام خطوطاً واضحة، تهدى بهم إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وأعلن بالحق وجاهر بالإسلام ولم يخف فى الله حاكماً وأميراً .فالدعوة إلى دين الله ونشر كلمة الإسلام وتبليغ الإيمان إلى الناس ،كان فيها أكثر حياته وابتدء أعماله الدعوية منذ تصدى لحياة العمل وكان عالماً تميل إليه القلوب وتنقاد له الأذهان وتطيعه العقول وكان يعرض الإسلام على المشركين فكانوا يقبلونه، ولذا تسببت دعوته لدخول كثير منهم إلى دين الله الحميد وكان يحضر إليه المسلمون للمبايعة فكانوا يتوبون

عـنـده، إلـى الـلـه تـعالى عن السيئات و المعاصي. وشملت دعوته الهند وما جاورها من البلاد حتى قدمت عليه وفود الأفغان و وفود مـن الـصيـن وحـضر إليه كثير من المسلمين من إفريقيا الجنوبية وذالك لأنّ المسلمين وجدوا به داعية على خلق كريم و ورع عظيم وإنّهـم وجـدوه مـخـلـصـاً فـى نشـر كـلمة الإسلام وتطهير المجتمع الإسلامى عن البدعات والأفكار الزائغة .

وإنّ الشيخ كـان الـمسـلـمون يـرجـعون إليـه في مشكلاتهم السياسية والدينية .

فـلـمّـا طـالـب المسلمون بإقامة دولة باكستان واستشاروا الشيخ فـافـتـى لهـم بـالجواز ولمّا جمعت أعضاء الجمعية الإسلامية ، المبتدعين إليهم وأعلنوا عن قيام دولة علمانية ردّ عليهم وقال: إنّه لا يـجـوز إعـانة هـؤلاء الـجهـلاء وكـذالك أمـرت بـعض الـجمعيـات السيـاسية المسلمين بحضور مجالس عبادة الوثنيين ، فنهىٰ الشيخ المسلمين عن حضور هذه المجالس أشدّ النهىٰ .

ولمّا قسمت الهند وقع فيها قتال وفتن وصار الرجل لا يفارق بيتـه، وهـجـم الهـنـدوس على المسلمين فى أكثر البلاد ، كان الشيخ لايـغـيـب عـن مسـجـده مع أنّه لم تبق فى محلته من دور المسلمين إلّا

داره وكان يقيم الصلا ة بالجماعة ويؤذن ويقيم ولا يخاف أحداً حتىٰ إذا بلغ المسلمين الذين ما برحوا فى الهند، ثبات الشيخ وجرائته، ثبتت عزائمهم على الإقامة بالهند ولم يهاجروها(٧)

مناضلته عند فتنة الإرتداد

ولمّا ضعف المسلمون وانهارت دولتهم بالهند ائتمر عليهم الهندوس وقام بعضهم بحركة كانت على الإسلام والمسلمين شديدة فإنهم جالوا فى الهند وأخذوا يردون المسلمين إلى الوثنية الهندوسية، بالإضلال مرّة وبالإكراه أخرى وسموا هذه الحركة (شدهى كرن) بلغتهم معناه التطهير، لأنّهم يزعمون المسلمين نجسا.

فاجتمع لهذا علماء أهل السنة وتشاوروا فى دفع هذه الفتنة وألّفوا جماعة من العلماء المجاهدين وهم خلفاء الإمام أحمد رضا وفى طليعتهم شيخنا الكريم، فنشطوا وجالوا فى أنحاء الهند وجابوا الصحارى والفلاوات وسافروا إلى البلاد البعيدة واجتمعوا مع الذين ردّهم الهندوس فبلغوهم الدين فعاد هؤلاء إلى الإسلام ثم دخلوا فى أحياء الهندوس وبلّغوهم دين الله وعرضوا عليهم الإسلام فدخل عدد كثيرمن الهندوس، فى الإسلام واستمرّ هذا النصح

والتبليغ إلى عشر سنوات متواليات أىْ من سنة ١٩٢٥م إلى ١٩٣٥م .

وجاهد هؤلاء العلماء جهادا عظيماً ذبلت شفاههم وغارت عيونهم ونحلت أجسامهم لكنّهم نضّروا وجه الإسلام لأنّه رجع إلى الإسلام أربع مائة ألف مسلم ودخل فى الإسلام ثمان مائة ألف ، تقريباً فهذه مأثرة لا تجد لها نظيراً .

شيخنا يطرد المضلين

ثم ذهب شيخنا إلى الرجل الذى أثار هذه الفتنة وكان من دهاة الهندوس وعلمائهم خطيباً بالهندية ساحراً فتعقبه الشيخ ، فلم يقرّ هذا الرجل فى بلدة قراراً حتىٰ انتهىٰ به المسير إلى ولاية بيهار الشرقية ، فدخل إليها الشيخ وكان هذا الرجل فى حفلة كثيرة العدد، فخاف الرجل وأراد الفرار فأخذه الشيخ وقال للمستمعين .

على رسلكم أيها الحفل! لا نثير شرّا ولا نغلظ القول ولا نسيئ إليكم ولا نسعر الحرب إنّما نحن سائلون عالمكم عن أشياء فإن أحسن الإجابة غادرناه وإن لم يفعل نذكر لكم أموراً يجب عليكم الإقرار بها فقال الحفل: قد أصبت أيّها الشيخ! فأت بما تريد .

فلما أحس الشيخ أنّ الجمع مقتنع ، شرع فى قوله ، وعالم

الهندوس ترتعد فرائصه .

فقال الشيخ : نقول لعالمكم هذا: قمْ وناظرْنا على الحق فإن ظهرت علينا رجعنا إلى بيوتنا وإن ظهرنا نحن، فعليك أن تخضع لقولنا وإن لم تفعل هذا فعليك أنْ تختبئ فى دارك وتترك هذا الإضلال المبين وإن لم تفعل هذا فسنوقد ناراً ونضع عليها القدر وغلاها دهناً وزيتاً فإذا نغرت وغلت فادخل أنت ونحن فمن كان على الحق لم يسلق جِلده ومن كان على الباطل سلق جِلدُه فما أنْ أتمّ الشيخ مقالته تعالت أصوات الجمع وقالوا: قُمْ أيّها الرجل! فناظر وإلّا فادخل فى الزيت المغلىّ وإلّا فارجع إلى بيتك لا حاجة لنا إلى بيانك. إنّ هذا الشيخ لصدق إنّه للحق، فلما رأى عالم الهندوس أنّه خاب فسكت وحلف لدى الجمع أنّه ليستقرّ فى داره.

فتقذف الناس إلى شيخنا وتابوا عن الشرك ودخلوا فى دين الله أفواجاً وكان هذا نصراً مؤزراً وفتحاً مبيناً .

وبذلك انقطعت حركة الرّدة، بالهند (٨)

مجاهرته بالحق

إنّ هذا الشيخ عاش حياة شجاع جرىء مجاهر بالحق أينما كان ولم يخف فى الله لومة لائم ولم تخنه أقدامه ولو اعترضت فى

سبيلـه الـجبـال وامتدت البحار، إنّه خاض البحار واجتاز العقبات إلـى الـحـق و واصـل سيـره فـي سبيـل الإسـلام والإعلان بـالـحق ، والـحـق أنّ الـعـالـم باستقامته على الصراط المستقيم ، وليس العالم بحزام الكتب وتكديس المقالات .

إنّ شيـخـنـا أعـلـن بـالـحق أمام الملوك وجاهر بالحق أمام الـضبـاط والأمـراء ولـم يـكتـرث بـما رسمته الدولة وبما كتبته أقلام المشرعين فى البرلمان، بل قال : وذكر بما أمر الله و ارتضاه رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم.

ولـــه فـى ذالك واقـعـات مـا ثورة وآثـار مشهورة أصدرت الـحـكـومة الهندية التى كانت رئيسة وزراء ها إندرا غـانـدى (٩) الأمر بـالـتـعقيم الإجبارى للرّجال لضبط توليدهم وذالك من سنة ١٩٧٨م اقـتـداء بـالـنـظـام الشيوعى فى روسيا التى كانت من حلفاء الحكومة الهنـديـة فـى ذالك الـوقـت، ودعـت الـحـكـومة الهندية العلماء ليفتوا بالجواز، لتنفيذ هذا الأمر فى المسلمين، وأوعدتهم إيعاداً ، فخضعت لهـذا الأمـر الـجائر، الفرق الغير المقلدة والديو بندية ، وأفتوا بجواز الإجـبـار ونـفـاذ عـمـلية الـتـعـقيـم لـضـبـط توليد المسلمين ، ونفذت الـحـكـومة وأعـلـنـت بـالـطـوارئ ، فسجـن المعـارضون واعتقل

الرافضون لأمرها ، وأخذ على الألسنة وأرسلت حكومة الهند إلى شيخنا بـــ بريلى ، ليعلن بجواز ضبط التوليد ويمتثل بأمر الحكومة.

فلمّا جاء ته الرسالة، امتنع عن فتوى الجواز وأفتى بحرمة الإخصاء والتعقيم وضبط التوليد الإجبارى ، فأغضب ذالك الحكومة وحضره حاكم المنطقة وقال: يا شيخ! ما لك تفتى مخالفاً للحكومة الهندية الكبيرة ، قال الشيخ : أنا مفتٍ بالشريعة والشريعة بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولستُ مفتياً برسوم الدولة وأحكام الحكومة .

فقال الحاكم: ألا تعلم أنّ الهند تحت الطوارئ والحكومة يتبرر لها إلغاء قانون وتنفيذ آخر وقد رأيتَ أنّها حبست آلافاً واعتقلت آلافاً آخرين .

فقال الشيخ: لا أخاف القيود والأغلال ولا الحبس والاعتقال كل هذا لا يرعدنى ولا أخشى إلا الله الواحد القهار، ولا أزال أعلن بالشريعة الغراء التى اختارها الله تعالى ، للناس منهاجاً .

ثم سمع الناس وبلغهم حديث الشيخ فتشجعوا وأنكروا هذا الحكم الجائر فخضعت الحكومة للشيخ وألغت أمرها .

انظر إلى قو ة مؤمن بالله تعالى، ألقت الحكومة أمرها فى قدمه وخضعت له خضوعاً ، والشيخ المؤمن الكامل لا جند له ولا حصن ولا مدفع ولا جبهة القتال ولا صفوف الرجال. إنما كانت له قوة الإيمان وقو ة التوكل على الله الحميد، والحكومة لها سيطرة ونظام ولها مدافع وبنادق وجنود وعساكر وقوّات وضباط ونواب وأمراء وكل شيء .ولكن للإيمان نفوذ فى الأحجار وله قوة تحطم الصخرات والجبال ويخوض صاحبها البحار والغمار .

والمؤمن الذى يتوكل على الله الواحد القدير، لا تزلزله العواصف ولا تخيفه المدافع ولا ترعده القاذفات إنّما يخشى الله ولا يخشى أحداً غيره.

وقد كان شيخنا صاحب هذه القوة فأتى ما أتى فجزاه الله تعالى عن المؤمنين خير الجزاء و أحسن مثواه.

وكانت تهوى إليه أفئدة الناس

والحق أنّه كان وليّاً تقبّلته رحمة الله وتمّت عليه بركته وشرفته عبادته فكان إذا مرّ على قوم أو حلّ بهم اجتمعوا إليه مرحبين وقاموا له مكرمين واعترفوا به وإنْ كانوا أميّين وذالك لأنَ الشيخ جمع خاطره على ذكر الله ، فكثّر الله تعالى ذكره فى الناس ،

وألقى فى قلوبهم المحبة له وجعل له فى العالمين ودّا. فذكر الذين صحبوه أنّ الناظر إليه كان لا يستطيع أن ينظر بملأ عينيه إجلالًا له ومهابة منه.

كان الشيخ يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر

كان الشيخ لا يخاف أحداً غير الله وهو فى ذالك قد تأسى بأسوة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم .

فكان هينا لينا حتى إذا وجد محارم الله انتهكت فإذا به غضبان مغيظا لا يقوم لغضبه شيء وله فى ذالك نماذج تستحق الذكر.

سافر الشيخ بعربة قطار، ركب فيها رجال القوات الهندية المسيحيون فتذاكروا المسيح ابن مريم وأمه فوصفوه بأنّه ابن الله، فلمّا سمع الشيخ ذالك منهم، غضب أشدّ الغضب وأخذ يحوقل و يتعوذ. فقالوا له: إنّك مسلم تؤمن بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن نصارى نؤمن بالمسيح فتغيّر وجه الشيخ آسفاً وغضباً وقال: إنّكم لكاذبون لقد كفرتم بالمسيح عليه الصلاة والسلام، لستم بالمؤمنين بالمسيح إنّ الذين آمنوا بالرسل ومن هؤلاء الرسل المسيح عليهم صلوات الله وسلامه و لم يفرقوا بين أحد منهم فهم المؤمنون حقا بما أنزل الله على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم و بما أنزل

الله من قبله فاعتقلت ألسنتهم وغلبهم الشيخ بإيمانه الصادق.

وكان الشيخ نبراسا للمؤمنين بشبه القارة الهندية. كانوا يتنورون به السبل ويهتدون بضوئه كلما أظلم عليهم ليل الشبهات وكان ينتقد انتقادا صريحا إذا وجد من أحد أمرا مخالفا لدين الله تعالى وألف لذالك جمعيات وهيئات يراقب أهلها و أعضائها الأعمال السياسية والدينية والدعوية فإذا وجد أهلها أمرا مخالفا مضاد التعليم الإسلامى عرضوا إلى الشيخ والشيخ كان يحكم فيه بما تأمره الشريعة الغراء فكان إذا تلى ذلك على المسلمين قبلوه أحسن قبول و اعرضوا عن سواه فكان الشيخ نورا يستضاء به و منارة يهتدى بها طوال حياته الشريفة النافعة التى امتدت إلى تسعين سنة. فجاء ه اليقين والأرض مليئة بآثاره والمسلمون راضون بخدماته فلما استأثرت به رحمة الله تعالى فى ١٤ من المحرم ١٤٠٢ هـ الموافق ١٢ من نومبر التشرين الثانى ١٩٨١م اغتم المسلمون وحزنوا حزنا لم يحزنوا مثله فى تاريخهم بالهند وانهالوا إلى نعشه فصلوا عليه وهم ملائين وشيعوه وكنت قد حضرت جنازته فكان المنظر مبكياً، الوجوه كئيبة والدموع ساكبة وأنا من الذين تشرفوا بالمبايعة على يده، بايعته وأنا ابن إحدى

عشرة سنة فدعا لى بالعلم والبركة فاستجاب الله دعوته فيسّر الله لى من العلوم وذلك من فضل الله .

أخلاقه الكريمة

كان الشيخ رحمه الله تعالى لطيف الأخلاق، كريم العادات لا يطعن أحدا ولا يغتاب وكان لا يسئل أحدا شيئا حتى ما يأكله ويشربه فإن أطعمه أحد أكل وإلا طوى بطنه على الجوع وكان متّبعا لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ واردا إليها صادرا منها حنفيا فى الفقه أشعريا فى العقيدة قادريا فى سلسلة المبايعة طاهرا عفيفا غضّ البصر طويل السكت قليل الكلام يعلو وجهه نور الإيمان. كل عمل منه حسب السنة ما خالف سنّة قط و ما ترك مستحباء من زاره انتفع بزيارته رزقه الله البنات الصالحات العفيفات الكريمات العابدات الساجدات القانتات.

وملخص القول: أنّ الشيخ كان بركة من بركات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم .

شبّ مسلما مجاهدا فى سبيل الله واكتهل معلما مدرسا قائدا وشابا ناصحا آمرا وناهيا فكل حياته علم وجهاد وسنة ونشر علم وقيادة صالحة لا بدّ لكل مسلم أن يقرأ كتبه لأنها مادة

إسلامية قيمة.

هـذا مـا تيسر فى ترجمة الشيخ الإمام الفقيه المحدث المرشد القـائـد مـصـطـفـى رضا خـان البريلوى، ابن الإمام أحمد رضا خان الـمجدد ابن الشيخ نقى على خـان ، رحمهم الله تعالى وإيانا وحشرنا معهم وسلك بنا طريقتهم .

وصـلـى الـلـه تـعـالـى عـلى خير خلقه محمد وآله وأصحابه أجمعين .

الحواشى

(١) واحده وادٍ.

(٢) التاء للمبالغة.

(٣) من أكـابر الملوك المغول بالهند جلس على سرير الملك فى ١٠٣٧ هـج٦٢٧م بـعـد وفاة أبيه جهان گير ،حكم على الهند إلى ١٦٦٠م تقريباً وخدم العلم والعلماء وأكرمهم وكان عهده عهداً آمنا بالهند.

(٤) حياة أعـلـى حـضـرة الإمام أحمد رضا (للفقيه بدر الدين البستوى الهندى)

(٥) الشيخ أبـو الـحسن أحمد النورى بن الشيخ ظهور حسن بن الشيخ آل رسول المارهروى ولد عام ١٢٥٧ للهجرة الموافق عـام ١٨٣٩ للميلاد فى مدينة مارهره بإقليم الولاية الشمالية مـن الهند وكان من مشاهير العلماء ورجال التصوف. له كثير مـن الـمؤلـفـات فـى عـلـوم شتى توفى عام ١٣٢٤هـ. ١٩٠٦ لـلـميـلاد – مـن الإمام الأكبر والعالم العربى، للدكتور حازم محفوظ.ص٥٦.

(٦) من مقدمة خلفاء المفتى الأعظم.

(٧) مـن تـاجـدار أهل السنة .مجـموعة مـقالات رضا أكيدمى، المجمع الرضوى.

(٨) انـدهيـرے سـے اجـالے تك من الظلمة إلى النور. ص ٢٠٠ مركز مجلس رضا لاهور.

(٩) كـانـت امرأة عـاقـلة هـنـدوكية مـن داهيات الهند ولدت ١٩ نـومبر ١٩١٧م واغتيلت ٣١ أكتوبر سنة ١٩٨٤م مالت إلى النظام الشيوعى كانت رئيسة وزراء الهند من سنة ١٩٦٦م.